حوار الاديان والتعايش السلمي في المجتمع العراقي ودور المؤسسة الدينية في ترسيخه

أ.م.د. غصون مزهر حسين

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم التاريخ

Dr.ghsoon_mezher@yahoo.com

الملخص:

التعايش السلمي ومعناه انتهاج سياسة تقوم على مبدأ قبول فكرة تعدد المذاهب الإيديولوجية والتفاهم .كما يدعو الأديان كافة إلى التعايش السلمي فيما بينها، وتشجيع لغة الحوار والتفاهم والتعاون بين الأمم المختلفة ، و نبذ العنف بكل انواعه والتعصب، ولابد من مناصرة المظلوم والمقهور والدفاع عن كرامة الناس، وعلى جميع المؤسسات الدولية ان تساعد الشعوب لعدم الخوض في الحروب لما لها من انعكاس واضح على طبيعة المجتمع .

ولتوضيح الفكرة ، قسم البحث الى ثلاث محاور اهتم الاول منه بعرض مفهوم التعايش السلمي ، اما المحور الثاني فقد وضح مفهوم التعايش السلمي في المجتمع العراقي وما له وما عليه ، ام المحور الاخير فقد اكد على اهمية المؤسسات الدينية في تعزيز التعايش السلمي من خلال ادواتها المتعددة من خطب وحلقات ودروس وغيرها من الامور .

الكلمات المفتاحية: (التعايش السلمي،المؤسسة الدينية،المجتمع العراقي، حوار الاديان)

Interfaith dialogue and peaceful coexistence in Iraqi society and the role of the religious institution in consolidating it

Asst. Prof. Dr. Ghsoon Mezher Hussein

Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of History

Abstract:

Peaceful coexistence means adopting a policy based on the principle of accepting the idea of multiple ideological schools of thought and understanding. It also calls on all religions to peacefully coexist among themselves, encouraging the language of dialogue, understanding and cooperation between different nations, rejecting violence of all kinds and fanaticism, and it is necessary to support the oppressed and the oppressed

and defend the dignity of people. All international institutions must help people not to engage in wars because they have a clear impact on the nature of society.

To clarify the idea, the research was divided into three axes, the first of which was concerned with presenting the concept of peaceful coexistence. The second axis clarified the concept of peaceful coexistence in Iraqi society and its pros and cons. The last axis emphasized the importance of religious institutions in promoting peaceful coexistence through their multiple tools. Speeches, seminars, lessons and other things.

Keywords: (peaceful coexistence, religious institution, Iraqi society, interfaith dialogue)

اهميـــة البحـــث: يهـتم البحـث بتسـليط الضـوء علـى مفهـوم التعـايش السـلمي فـي المجتمـع العراقـي فـي ضـوء تعـدد الاديـان والمـذاهب، مـع الاشـارة بشـكل واضـح الـى دور الدين الاسلامي في تعزيز مبدأ التسامح بين الاديان في المجتمع العراقي.

اشكالية البحث: تدور اشكالية البحث حول الازمات التي تعرض لها المجتمع العراقي التي استهدفت نسيجه الاجتماعي، مع عرض اهم السبل المتبعة لمواجهة الازمات.

منهجية البحث : ركز البحث على المنهج التركيبي الذي يجمع بين المنهج التاريخي لغرض التعرف على مفهوم التعايش السلمي ، والمنهج التركيبي، الذي يجمع بين المنهج التاريخي والمنهج التحليلي لمتابعة سير وتطور مفهوم التعايش السلمي خلال مرحلة مهمة من مراحل التاريخ المعاصر .

فالتعـايش السـلمي ومعنـاه انتهـاج سياسـة تقـوم علـى مبـدأ قبـول فكـرة تعـدد المـذاهب الإيديولوجية والتفاهم .كما يدعو الأديان كافة إلى التعايش السلمي فيما بينها، وتشجيع لغة الحوار والتفاهم والتعاون بين الأمم المختلفة ، و نبذ العنف بكل انواعه والتعصب، ولابد من مناصرة المظلوم والمقهور والدفاع عن كرامة الناس، وعلى جميع المؤسسات الدولية ان تساعد الشعوب لعدم الخوض في الحروب لما لها من انعكاس واضح على طبيعة المجتمع .

ولتوضيح الفكرة ، قسم البحث الى ثلاث محاور اهتم الاول منه بعرض مفهوم التعايش السلمي ، اما المحور الثاني فقد وضح مفهوم التعايش السلمي في المجتمع العراقي وما له وما عليه ، ام المحور الاخير فقد اكد على اهمية المؤسسات الدينية في تعزيز التعايش السلمي من خلال ادواتها المتعددة من خطب وحلقات ودروس وغيرها من الامور .

المقدمة:

إن الدعوة إلى الخطاب الديني المعتدل أصبحت ضرورة ملحة تفرضها الصراعات الحضارية القائمة بين الاديان ، وتقتضيها المشاكل والأزمات الدولية العديدة، ولهذا شاعت بين الناس عبارات كثيرة من قبيل: حوار الأديان، والحوار الإسلامي المسيحي، وحوار الحضارات، وحوار الثقافات، وحوار الشمال والجنوب، والحوار العربي الأوروبي، والحوار الاجتماعي،والتعايش السلمي، والغاية هي تعويض عبارات أخرى من مثل: الصدام الطائفي، والحرب الأهلية، وصدام الحضارات، وصراع الشمال والجنوب.

فالتعايش السلمي: هو مفهوم في العلاقات الدولية دعا إليه خروتشوف عقب وفاة ستالين، ومعناه انتهاج سياسة تقوم على مبدأ قبول فكرة تعدد المذاهب الإيديولوجية والتفاهم بين المعسكرين في القضايا الدولية. و نعنى بالمعسكرين هنا المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي. كما تدعو الأديان كافة إلى التعايش السلمي فيما بينها، وتشجيع لغة الحوار والتفاهم والتعاون بين الأمم المختلفة ، و نبذ العنف بكل انواعه والتعصب، ولابد من مناصرة المظلوم والمقهور والدفاع عن كرامة الناس، وعلى جميع المؤسسات الدولية ان تساعد الشعوب للقضاء على الحروب وانقاذها من الحرب والدمار كسوريا والعراق وفلسطين وغيرها من الدول.

إن السياسة الدولية عرَّفت مصطلح التعايش السلمي، على أنه قيام تعاون بين دول العالم، على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية، حيث ظهر هذا المصطلح بعد الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم إلى معسكرين متقاتلين.

الإسلام لا ينكر الأديان الأخرى، بل يشجع التعايش معها في أمان وسلام، وفي التاريخ الإسلامي الدليل الواضح على ذلك؛ فقد عقد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – العهود والمواثيق مع اليهود، التي تضع أسس العيش المشترك، مع الاحتفاظ بدينهم وبشريعتهم التوراتية . وتعامل الصحابة والخلفاء مع المسيحيين، واحترموا عقيدتهم السماوية، التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام. وإضافة إلى ذلك وقبله، فإن الإسلام أوجب الإيمان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم، قال الله تعالى: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله" . إن الثقافة والحضارة الإسلاميتين منفتحتان على حضارات الأمم، ومتجاوبتان مع ثقافات الشعوب، وهما مؤثرتان ومتأثرتان. ومبدأ عالمية الإسلام، هو الأساس الثابت الذي تقوم عليه علاقة المسلم مع أهل الأديان السماوية.

١ – مفهوم التعايش السلمي:

خلق الله سبحانه وتعالى الناس أجناسا وألوانا وعقائد مختلفة فجعلهم شعوبا وقبائل لكي يتعارفوا قال سبحانه: ﴿إنا خلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ، ولقد جعل سبحانه وتعالى التقوى ميزانا للتكريم الإلهي، وأنها المقياس الأهم في تحقيق وحدة الغاية عند بني البشر على اختلافهم، كما انها من أسباب حسن المعيشة وازدهارها حين قال سبحانه: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء﴾.

إن التقوى من أهم الآليات التي تضمن سعادة الدارين، وتضمحل معها أسباب التمايز بمختلف أنواعه وأصنافه، غير أن مشيئة المولى سبحانه لم تقتض هداية الناس أجمعين قال جل شأنه: ﴿فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾.

من هنا فقد أناط سبحانه ـ بالإنسان ـ مهمة اختيار الطريق المُنجّي من غيره، وأعطاه مساحة فكرية واسعة في ذلك، قال سبحانه: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ ، وقال جل وعلى: ﴿وهديناه النجدين﴾ ، فكان من الطبيعي أن يختلف الناس مع أنهم خُلقوا أمة واحدة كما أكد ذلك سبحانه بقوله:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ، وهو ما يكشف عن حقيقة أن الناس وُلدوا متفقين على الفطرة ، بالتالي فالإختلاف إنما هو من جهة الإنسان، وكانت مهمة الأنبياء هو قطع دابر الاختلاف، الذي نما شيئا فشيئا حتى أصبح جزءا من تكوينه بسبب خروجه عن هدي السماء ومخالفته الأنبياء.

بالتالي فالقرآن بصدد تقرير أن الإختلاف في واقعه إختلاف عقائدي، الأمر الذي ترتب عليه فيما بعد وبتدخل مباشر من الإنسان نفسه، نزاع على حساب الدين واللون والجنس والإنتماء، ولطالما كان من نتائجه الوخيمة تلك الصور القاتمة من القتل والتهجير والإلغاء والإقصاء التي مُنى منها الوجود البشري منذ أن وقعت أول جريمة اقترفها قابيل بحق أخيه هابيل، والى يومنا هذا.

وكيفما يكن الأمر فقد أصبح الإختلاف بين الناس ـ منذ القدم ـ سمة بارزة، وقلما تجد مجتمعا، يخلو منه ؛لذا فقد سعى الشرع الحنيف الى حفظ الجنس البشري من خلال خلق وتفعيل الآليات، التي تحقق التوازن الإنساني داخل المجتمع المسلم، وتحول دون تفاقم خطورة الإختلاف ووصوله الى حدود النزاع والإقتتال، عبْر تقريره لمبدأ التعايش السلمي ـ بين مختلف المكونات التي تدين بأديان وتوجهات عقائدية مختلفة ـ الذي يضمن أسباب التقارب، بل والتوادد والتحابب، كما يحفظ حقوق الجميع من غير غمْط أو تجاوز.

والواقع إن المجتمع الإسلامي ـ في تقدير الباحث ـ أحوج من غيره الى تطبيق مبدأ التعايش السلمي للأسباب الآتية:

أولا: أنه ضم في تركيبته الإجتماعية ـ منذ الأيام الأولى لوضع الأسس الأولى للدولة الإسلامية على يد النبي (صلى الله عليه وآله) ـ أبناء الأديان الأخرى من النصارى واليهود وغيرهم من الذين كانوا يقطنون البلاد الإسلامية قبل مجيء الإسلام.

ثانيا: نسْخ الإسلام لما سواه من الأديان، وتصريح الخطاب السماوي بأنه المُلزم بالإتباع دون غيره من الأديان السماوية الأخرى، حيث قال سبحانه: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾، هذا في قبال

آيات أخرى تؤكد على حرية اتخاذ الإنسان أي دين، كالآيات المتقدمة، وكقوله تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ، ومقتضى الجمع بين معاني تلك الآيات يفضي الى العمل بمبدأ التعايش السلمي، إذا كان الوسط الإسلامي يضم في كنفه غير المسلمين.

ثالثا: أن من أهم نتائج تفعيل مبدأ التعايش السلمي هو كف أذى غير المسلمين، وتجنب بعض دواعي عدم الإستقرار، المتمثلة بالمؤامرات التي يحوكها أعداء الإسلام، مستغلين الفــجوة العقائدية بين المسلمين وغيرهم.

إن مبدأ التعايش يمثل نظرية اجتماعية تعكس الجانب الإنساني للخطاب الديني مــن جهة، وتكشف، عن البعد الأخلاقي للمنظور الإسلامي، الذي يبيّن عالمية الدين الإسلامي، وأنه شرْع ينفتح على جميع المكونات الإنسانية، بما هي إنسانية بغض النظر عن الإنتماء الديني أو الميل العقائدي من جهة أخرى.

ويمكن القول إن ديمومة الوجود الإنساني وقوامه في أمرين: هما الـجانب الإقتصادي والـجانب الإجتماعي.

أما الجانب الأول فقد تكلف الباري سبحانه بتغطيته، حين وزّع الثروات بأنواعها في باطن الأرض وظاهرها، وأعطى للإنسان الآليات العقلية والبدنية القادرة على استخدام تلكم الثروات، وتوظيفها والإستفادة منها.

أما بخصوص الجانب الثاني فإن المولى سبحانه أنزل الشرائع وبــعث الأنبياء (عليهم السلام) لتنظيمه، ثم أنه دفع الإنسان وألهمه لتأسيس بعض النظم التي من شأنها حفظ النظام الإجتماعي، ويقع مبدأ التعايش السلمي علــى رأس لائحة النظم التي يُراد منها حفْظ النظام والنوع البشري مـن آفة النزاع، التي لا تقل خطرا عن آفة الفقر التي قد تدفع الإنسان ليقتل أخيه الإنسان مــن أجل الحصول على فرصة البقاء.

ويروّض القرآن الكريم نفوس المؤمنين ليتعايشوا مع واقع التنوع الديني، فهو قدر البشرية إلى يوم القيامة، فلا يتوهمنّ أحد بإمكانية الفصل والحسم بين الديانات في هذه الحياة الدنيا، إذ إنها مهمة مؤجلة إلى يوم القيامة، وتتم بين يدي الله سبحانه وتعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ﴾، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾، ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ .

هذه الرؤية القرآنية تؤسس لنهج التعايش والتسامح بين أبناء البشر على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وتحمي أجواء السلم والوئام داخل المجتمعات المتنوعة الانتماءات، وبغياب هذه الرؤية الواقعية تقرع طبول الحروب الدينية، وتتوالى نُذُر صدام الحضارات، وتعاني المجتمعات من التمزق الداخلي والاحتراب المذهبي .

خلاصة القول إن مبدأ التعايش السلمي يمثّل إحدى الأدوات التـي اعتمدها الدين الإسلامي ليس للتقارب مع الآخر فحسب، بل الى دعوته لاعتناق الشرع الحنيف، لما ينطوي عليه هذا المبدأ من نزعة إنسانية تستحق الإحترام والتبجيل.

ومن هنا يكمن اجمال عدة خصائص مهمة للتعايش السلمي منها:

١- القول بحرية التدين ، باعتباره معارضاً لحرية اختيار الإنسان للدين الذي يقتنع به، وجعل القاسم المشترك بين كل الأديان البيان العالمي لحقوق الإنسان.

٢- منع كل ألوان الاعتداء على الآخر وإنكار الحرب باسم الدين، وتفسير الجهاد في الإسلام بأنه للدفاع عن النفس .

٣- منع الكراهة الدينية و الدعوة للإخاء الإنساني.

٤- المطالبة بالحرية الدينية للأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية، والتعامل معهم على أساس الوحدة الوطنية، وليس على أساس المعتقد الديني، واقتراح الغرب الحل العلماني كأفضل حل لمشكلة الأقليات.

٥- الإقرار بالأديان السماوية جميعاً وتفسير هيمنة الإسلام عليها بأنه (مراقب) عليها فهو يرصد ما تتعرض له الديانات من انحراف عن الحق.

٦- الاجتماع على تقوية الصلة بالله في النفوس، خاصة بعد طغيان المادية وتفشي قيمها المسيطرة على الشباب في العالم.

٧- البعد عن العنف والإرهاب والتطرف الديني والتكفير والتدخل في خصوصيات الآخر الدينية.

٢- التعايش السلمي في العراق

التعايش السلمي مصطلح معاصر معناه القبول بالآخر المختلف إيديولوجيا ودينيا وعرقيا. فبالرغم من التقدم الذي أحرزته البشرية في مجالات احترام حقوق الإنسان وحق الأقليات في العيش المشترك، فقد استفحلت النزاعات واستمرت الحروب، وتمّ الركوب على تلك الآليات الأممية والمعاهدات الدولية، من أجل تدخل الدول الكبرى في شؤون الدول الضعيفة، تحصينا لمصالحها الاقتصادية والاستراتيجية.

لقد عاش الشعب العراقي عبر تاريخه الطويل وهو عبارة عن فسيفساء متنوع القوميات والأديان والطوائف، لكنه خلال هذا التاريخ كان محكوما بقبضة الاستبداد وسطوة الطغاة، الذين حرصوا على إذكاء نار الطائفية بين أبناء المجتمع، لينشغل بقضايا ثانوية لا قيمة لها، فيما يأمن الحاكم المستبد في برجه العاجي، ويطرح نفسه حكما وجلادا حسب ما تقتضيه مصلحته، وهذا الأمر جعل طوائف الشعب العراقي على الرغم من تداخلها عن طريق المصاهرة، والعمل، والعيش المشترك تعيش في فضاءات ثقافية مغلقة،عمل الفقر والتجهيل والانفراد بالحكم على تضخيمها وتكريسها وتعنيفها، إن وجود هذه الفضاءات الثقافية المغلقة لا يقتصر على عامة الشعب، بل يشمل أيضا نخبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولعل من ابرز الأدلة على وجودها هو إن العراقي من طائفة معينة عندما يلتقي بآخر من طائفة أخرى غالبا ما يقتصر الحديث بينهما على العمل والسؤال عن الحال والمكان ولا يمتد ابعد من ذلك فكل منهما له رؤيته التاريخية ومرجعيته الثقافية المختلفة عن الآخر، لذا تكون الرموز التاريخية ومظاهر العبادة وقضية الحكم محل خلاف وخطوط حمراء يعرف كل منها أن عليه أن لا يصل إلى تخومها.

لذلك بقيت طوائف العراق مستلبة تاريخيا، ومحصورة بقناعات ثقافية لم يسمح طول عهد الاستبداد بالخروج منها للوصول إلى قناعات جديدة تخدم قضية التعايش وتطيح بالطغاة وتعطي الفرصة إلى بناء فضاء ثقافي عراقي واحد بارز المعالم، إذ كلما سنحت فرصة للتفاعل والحوار بين الطوائف ظهر سيف الحاكم وقضى عليها بحجة تهديدها لنظام الحكم أو لأنها تنطوي على

ممارسات سلبية (مع الإشارة إلى ان التفاعل الأولي بين الطوائف سيحتوي مثل هكذا ممارسات لكنه لو ترك له المجال فانه سوف يتحول إلى شكله الايجابي المرغوب).

إذن، فالمنطق يشير إلى أن هذه الفضاءات الثقافية المغلقة، عندما تزول سطوة الاستبداد وتتوفر لها أجواء الانفتاح والتلاقح والحرية، فإنها ستبدأ بالتحاور مع بعضها بشكل حذر، كما هو الحال بالنسبة للغريب الذي تلتقيه لأول مرة، فأبناء هذه الثقافات لم يعتادوا على التفاعل مع بعضهم في مثل هذه الأجواء ولم يبتعد تحاورهم في ظل الاستبداد عن المستوى الذي يحاول فيه كل طرف إثبات إن الحق إلى جانبه دوما بينما الباطل إلى جانب الطرف الآخر، لذا فالشك والحذر والتهيب لا الرغبة في القتل والتدمير والفناء أمر متوقع.

وبعد الاحتلال الأمريكي والبريطاني للعراق، طفت على السطح الصراعات الدموية الطائفية والإثنية والدينية في منطقة الشرق الأوسط، والتي تمت صناعة خرائطها في مختبرات الاستراتيجية الأمريكية. يؤكد بهذا الصدد الناقد السياسي الأمريكي البارز "نعوم تشومسكي" أن الغزو الأمريكي للعراق خلق انقسامات طائفية كبيرة، تولى تنزيلها على الأرض الحاكم المدني الأمريكي "بول برايمر" باقتدار كبير، وذلك من خلال فصله للطوائف والإثنيات إلى سنة وشيعة، وعرب وأكراد، ومسلمين ومسيحيين..في حين كانت التركيبة السكانية لمدينة بغداد سنة ٢٠٠٢ قبل الغزو الأمريكي، متجانسة بتواجد جميع الطوائف جنبا إلى جنب، والتعايش والزواج بينهم في تجانس تام، دون أن يسأل أحدهم الآخر عن الطائفة أو المذهب الذي ينتمي إليه، إلى غاية ٢٠٠٦ حيث توسع الخلاف الطائفي ليشمل المنطقة برمتها.

فكانت النتيجة ظهور تنظيمات متطرفة دموية، مثل "داعش"، تمتد من مرجعية جهادية خارج العصر، تستحل القتل على الهوية الدينية والتهجير القسري للأقليات الدينية أو العرقية، والذبح الطائفي، واختفى التعايش السلمي بين مكونات المجتمع الإسلامي الذي بناه الإسلام عبر قرون على قاعدة الآية الكريمة: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

٣- المؤسسات الدينية الفاعلة في العراق

لقد بذل العراقيون الكثير من الدماء الزكية، وسطروا ملاحم للمقاومة والتصدي والتغييب في غياهب السجون والهجرة في ارض الله الواسعة من اجل الحفاظ على حق أحترام المعتقدات وحرية المعتقدات الدينية وحرية ممارسة شعائرها، وقد جاءت عصابات داعش لتنسف هذا الارث الذي نفتخر به وتحدث شرخا عميقا في مجتمعنا الذي بات قسم كبير من ابنائه يرفضون البوح بمعتقداتهم سواء الدينية او المذهبية خشية تعرضهم للغدر او التهجير او الاختطاف وعلى اقل تقدير تفرض عليهم الأتاوات . فهل قامت المؤسسة الدينية بدورها المأمول اتجاه هذه الحالات لمنع حدوث الصراع والوقوف بوجه ثقافة الكراهية والعنف والارهاب الفكري ؟ وماهي انجازاتها في مجال تحقيق التعايش المجتمعي وتعزيز اللحمة الوطنية واشاعة ثقافة التسامح واللاعنف ، ويمكن تحديد المؤسسات الدينية الفاعلة في العراق بما يلي :

١- **المرجعية الدينية العليا للشيعة** : ممثلة بسماحة آية الله السيد المرجع علي السيستاني والذي يعد خيمة وطنية ، وقد اوضحت المرجعية من خلال الخطب و البيانات التي تصدرها المرجعية الى جميع الطوائف في العراق ولم يقتصر في الكلام على طائفةٍ دون أخرى ، وتوصية أتباع أهل البيت(عليهم السلام) بعدم الاعتداء على رموز الطرف الآخر ومقدّساته وما يعتقد به، وأيضاً دور العبادة الخاصة به منذ سقوط النظام، وبعد لم تتبيّنْ ملامحُ الأوضاع في العراق أفتى سماحة السيد بعدم الجواز والى يومنا هذا عدم جواز -يعني يحرم- أخذ مساجد السنة مثلاً أو الاعتداء على كنائس المسيحيّين أو غيرها من دور العبادة.

فأن جملة المواقف التي اتخذت والبيانات التي صدرت واللقاءات التي حصلت مابعد العاشر من حزيران توضح رؤيته الوطنية الشاملة لتعقيدات الوضع في العراق ولقاءاته مع ممثلين من مختلف الديانات والطوائف والتي يستخلص منها العبارات الخالدة التي تعبر عن منهجية وطنية لاتفرق بين ابناء العراق، فقد قال سماحته **(ان السنة هم انفسنا وليس اخواننا)** في اكثر من مرة وآخرها عند لقائه بالشيخ خالد الملا رئيس جماعة علماء العراق .

كما قال سماحته عند استقباله رئيس طائفة الكلدان في العراق والعالم البطريرك مار لويس روفائيل ساكو الاول **(أنتم جزء منا ونحن جزء منكم وأنتم في قلبنا ونتألم لما يجري لمكونات العراق)**.

وقال سماحته عند استقباله وفد الطائفة اليزيدية الذي جاء معبرا عن مدى احترامه وتقديره لمواقف المرجع السيستاني تجاه مأساة اليزيديين **(الآيزيديين أمانة في اعناقنا)** .

ولايمكن أحصاء المواقف والتوجيهات التي قدمها سماحته عبر خطب الجمعة لوكلائه للحكومة ولمجلس النواب والتعليمات التي اصدرها للقوات الامنية المقاتلة وضرورة مراعاتها الجانب الانساني، وخطابه لعامة الناس والمواطنين في التصرف المسؤول والتعامل الذي يليق بالمسلم . وقد أظهر الاهالي في محافظات العراق التي نزح اليها التركمان والمسيحيون واليزيديون والشبك وغيرهم تعاطفا كاملا معهم التزاما بوصايا المرجع . كما كان لسماحته لقاءات عدة مع ممثل الامم المتحدة في العراق فضلا عن الامين العام السيد بان كي مون الذي قال في مؤتمر صحفي عن

زيارته لسماحته **(اعربت عن عرفان الامم المتحدة لدعم سماحة السيد لكل الجهود الرامية لحماية المدنيين في الصراع الحالي، كما اعربت عن تقديرنا لدعوة سماحة السيد الداعية الى الامتناع عن الخطاب الطائفي، و ارحب بشدة بمناشدته للجميع بضبط النفس و تعزيز الروابط بين ابناء جميع مكونات الشعب العراقي، و تجنب الخلاف).**

٢- **دواوين الاوقاف :** من اجل توفير مساحة مشاركة اكبر في اتخاذ القرارات النوعية والتخصصية بالديانات المتعددة في العراق فقد انشأت بعد عام ٢٠٠٣ دواوين اوقاف متخصصة هي ديوان الوقف الشيعي وديوان الوقف السني وديوان اوقاف الديانات المسيحية واليزيدية والصابئة المندائية وهي وان كانت تعنى بالاوقاف الخاصة بتلك الديانات الا انها تعد احد المراجع الرسمية لتلك الديانات والطوائف، فقد نشر ديوان اوقاف الديانات المسيحية واليزيدية والصابئة في موقعه الرسمي بأن من مهامه دعم ورعاية متولي اوقاف الديانات المنظوية تحت الديوان وعادة مايكون متولي تلك الطوائف او الديانات هو رئيس الطائفة، في حين بين الوقف السني بأن من اهدافه توثيق الروابط الدينية مع العالم الإسلامي بوجه خاص والعالم بوجه عام والعمل على التقريب بين الطوائف والمذاهب.

كما يؤكد الوقف الشيعي على انه يسعى الى توثيق الروابط الدينية بين الطوائف الاسلامية وتعزيز التقريب بين المذاهب الاسلامية. ولكنها لكونها مؤسسات تابعة الى الدولة ومرتبطة برئاسة الوزراء فأنها تتبع سياسة الدولة ولاتحيد بخطابها العام عن نهجها، وقد شارك رؤساء الدواوين في

مؤتمرات التقريب كما أقاموا العديد من تلك المؤتمرات خاصة بعد العاشر من حزيران والاحداث الجسام التي تلت تمكن عصابات داعش من بعض المحافظات فضلا عن البيانات الاستنكارية في اعقاب الافعال المشينة التي اقدم عليها داعش.

٣- **خطباء المساجد والجوامع والحسينيات:** تعد من اهم المنابر التي تبعث بالرسائل وتنشر الالفة والمحبة او رسائل الكراهية والعنف، وقد كان لخطب الجمعة من كربلاء الأثر الكبير في نشر التوجيهات الوطنية والنابعة عن نهج ورؤية سماحة السيد السيستاني التي اشير اليها آنفا، في حين ساهم بعض الخطباء في اذكاء نار الفتنة عبر الخطاب الطائفي فضلا عن عدم استنكارهم العلني لممارسات وافعال داعش مما يشي بترويجهم لها وتبنيها، للخطباء في المدن او المحافظات التي التجأ اليها النازحون أهمية كبيرة في تعزيز التعايش السلمي والتكافل الاجتماعي وعدم تبني المعلومات واسلوب الخطاب الذي يصدر عن السياسيين والذي يحمل الاتهامات والتحريض مما يسبب الشحن الطائفي وهذا غير متوقع من خطيب او رجل دين، هناك امثلة على خطباء ومنتسبين الى الوقف السني في محافظات الاقليم تاثروا بداعش وتبنوا افكارهم وانظموا لهم في حين نتوقع من الخطباء ان يجدوا الوسائل لأستنقاذ الشباب من براثن الهجمة الفكرية لداعش فضلا عن اغرائهم بالوعود والمال وسلطة السلاح

٤- **رؤساء الكنائس وبيوت العبادة في الاديان والطوائف الأخرى** : ان الاديان والطوائف الاخرى (غير الاسلام) من الاقليات في العراق هم اكثر من عانوا من الاعتداءات والعنف والقتل

والتشريد وغيرها من الممارسات، وقد كان حقا على رجال الدين المسلمين ان يؤازروهم في محنتهم ويقدموا لهم كل العون لأحتواء المحنة والازمة وعبورها، وقد كانت الهجمة كبيرة بحيث ادت الى نزوح جماعي للمسيحيين الى خارج الوطن ولم يكن من الممكن استخدام اي خطاب يلطف من التهديد الذي تعرضت له تلك العوائل بمغادرة المنازل خلال وقت محدد، كما ان لرؤساء بيوت العبادة كافة دور مهم في التواصل مع رجال الدين المسلمين واقتراح المبادرات المشتركة لحوار الاديان والطوائف وتعزيز المواطنة لدى رعاياهم.

واليوم نحن في العراق نحتاج هذه المفردة وتطبيقاتها اكثر من اي وقت مضى حيث ان بلادنا فيها من الطوائف والاثنيات والعرقيات الشيء الكثير فاذا لا يكون هناك تعايشا سلميا بين كل هذه الفسيفساء الجميلة في العراق لا نضمن استقرارا مرتكزا في هذا البلد ومبنيا على معاني الصدق والاخلاص لبناءه فالعراق متوزع وتكمن جمالياته في اطيافه المتعددة من سنة وشيعة وكرد وتركمان وصابئة وشبك وايزيديين ومسيح وغيرهم والعراق منذ الازل بني على كل هذه الشرائح المهمة القادرة على بناءه من جديد بعد عصف الدكتاتوريات المتعاقبة والارهاب الحالي ولكن تطبيق التعايش بين هذه الطوائف يتطلب التركيز على عدة نقاط مهمة تعتبر هي الكفيلة بانجاح التعايش السلمي بين العراقيين وبالامكان اجمالها بالنقاط التالية :

١- ان يكون هناك تحاور بين كل الطوائف والقوميات وهذا التحاور مبنيا على اسس متينة من الصدق مع الاخر والاخلاص للاخر ويكون ايضا حوارا مبنيا على المصالح

المشتركة لا مصلحة طرف دون اخر وان يسبق هذا الحوار تنظيرا على كافة المستويات ويكون بين رؤساء وعمداء الطوائف في البلد وان لا يستثنى منه احد هذا التحاور سيضع جوا من الحب والتعايش والتقاء الاخر والقرب منه بعيدا عن كل المشاحنات والاتهامات وغيرها من الامور .

٢- ان تخرج توصيات من هذه الحوارات بين الطوائف والقوميات وان تكون هذه التوصيات ملزم العمل بها اي ان تدخل حيز التنفيذ لا ان تبقى حبرا على ورق وهذه التوصيات تتضمن امورا عدة منها :

أ- التاكيد على وحدة العراق والعراقيين .

ب- عدم التفريق بين الوان الطيف العراقي حسب العرق او الطائفة او المذهب .

ت- التاكيد على نبذ الارهاب ومن كل الجهات والمنظمات الداعمة له ،

ث- التاكيد على النقاط المشتركة ونبذ نقاط الخلاف بين الوان الطيف العراقي.

٣- ان تبنى اجهزة الدولة على اساس من الكفاءات وبعيدا عن المحاصصات الطائفية التي تثير النزعات وبالنتيجة يسلم البلد الى حكومة كفوءة لتقدم البلد وازدهاره .

٤- ان يكون رجال الدين طرف اساسي ومشارك فعال في المؤتمرات والحوارات والتركيز على مسالة مهمة الا وهي دور الدين في التسامح واشاعة مفاهيم الرافة والرحمة .

٥- اشاعة المفاهيم الدينية الصحيحة بين افراد المجتمع وطبع الكتيبات والكراسات التي تحث على مناهج التعايش وان لا سبيل لوحدة المجتمعات الا بالتعايش السلمي القائم على اساس من الثقة المتبادلة بين الطيف العراقي ككل .

ان العراق يعيش اليوم دوامة من زعزعة الثقة بيين اطياف الشعب وذلك لان الحركات الارهابية تحاول ان تزرع الفتنة بين الشعب وتعرقل بناء العراق الديمقراطي الجديد عراق الانسان ولكن ان بناء العراق لا يتم الا بعد ان يكون هناك تعايشا بين الشعب والا كيف نبني وغيرنا يهدم وهنا يقول الشاعر :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه

اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

كما ان لاشاعة مفاهيم الانسانية دور اساسي في ضرب مفاهيم الاستبداد والتفرد في الراي في ادارة المجتمعات ولا سيما المجتمع العراقي اذن فالدور الذي تناط به القوى الوطنية والاحزاب الدينية والسياسية في هذه المرحلة دور اساسي وخطير ويجب ان يتكافل الجميع في سبيل انجاح المسعى الطالب لاشاعة مفاهيم التعايش السلمي وانقاذ العراقيين من شفا حرب اهلية لا قدر الله والتعايش يستند الى عدة نقاط اساسية نجملها بالشكل التالي :

١- التسامح وهو دعامة اساسية لرفد مفهوم التعايش .

٢- ضرب مفاهيم الاستبداد والغاء الاخر واقصاءه .

٣- التاكيد على مفهوم الهوية الوطنية العراقية وهذه هي مهمة المثقف العراقي وهي بلا شك مهمة صعبة فالمثقف اليوم عليه دور كبير في دراسة الواقع العراقي ورفد الحركة المجتمعية .

٤- ان يكون الادب والفن من شعر وقصة ورواية وغيرها في خدمة الواقع والتركيز على مفهوم التعايش السلمي .

ان عراقنا المتعدد باطيافه والوانه الجميلة يتطلب منا وقفة حقيقية للتركيز على مفهوم التعايش السلمي والخطاب الديني المعتدل ، وبدونه سنكون متضادين يحارب بعضنا بعضا وهذه هي دوامة العنف الاكلة لكل ما هو نبيل في وطننا العراق فالمرحلة صعبة والمسؤولية كبرى والتعايش مطلوب والعراقيين اهلا للتعايش كي يثبتوا للعالم اجمع وحدتهم وضميرهم الحي.

الخاتمة:

لما كان المجتمع الدولي يموج اليوم في أوضاع مؤسفة من الصراعات والمنازعات وتنتابه حالة مفزعة من الاضطرابات والفتن والإرهاب الدموي المدمر وإرهاب الدولة في بعض الأحيان ، فتسال الدماء وتزهق الأرواح وتنتهك الحرمات وتستلب الحقوق والحريات، ويحل الخوف والفزع محل الأمن، والخيانة محل الأمانة، والتدمير محل التعمير. فقد أصبح التعايش السلمي بين الأمم والشعوب والدول ضرورة وموضوعاً بالغ الأهمية من الناحية الدولية والداخلية كذلك، حيث إن

التعايش السلمي كنموذج يجب ألا يقتصر على العلاقات بين الدول ولكن العلاقات داخل الدول كذلك، فالتعايش السلمي بين مختلف الشعوب والأعراق والجماعات الدينية وغيرها أصبح ضرورة ملحة في القرن الواحد والعشرين، وقوة دافعة للعلاقات الدولية ومحكاً للنوايا السلمية لأية دولة، ومفتاحا لحل كثير من المشكلات الدولية، ومعياراً للسلوك الدولي بوجه عام، فمن المستحيل أن يتمكن أي شعب من الانغلاق على نفسه دون أن يختلط ببقية شعوب العالم بسبب الاختلاف في الدين أو لأي سبب آخر. وهو(التعايش) من أهم مقومات التنمية والتعاون المشترك بين الأمم والشعوب، المبني على التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والثقافية والحضارية، فنحن نعيش في عصر التطور التكنولوجي وتبادل المعلومات. لذا فإن الأمل ما زال معقوداً على أن تتمكن شعوب العالم من التعايش مع بعضها البعض بشكل سلمي على الرغم من الاختلافات الدينية والمذهبية والقومية مهما كانت درجة الاختلاف من النواحي الاقتصادية والعلمية.

والحديث عن التعايش السلمي في شريعة الإسلام هو حديث عن مبادئ عظيمة نزل بها الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم، نظمت كل نواحي الحياة بما في ذلك العلاقات بين الشعوب والدول الإسلامية وغير الإسلامية، جاءت لحفظ السلم والأمن وترسيخ الاستقرار.

المصادر :

١. القرأن الكريم .

٢. حسن الصفار ، التنوع والتعايش (بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية) ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٩ .

٣. سامي الخزندار ، المسلمون والاوروبيون (نحو اسلوب افضل للتعايش) ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ١٩٩٧ .

٤. محمد هلال ، مفاهيم معاصرة في ضوء الاسلام ، دار البشير ،عمان – الاردن ،١٩٩٢ .

٥. ناجي البكري وأخرون ، دراسات في التسامح ،المعهد العربي لحقوق الانسان ، تونس، ١٩٩٥ .

٦. هيو كتسكل ،التعايش السلمي ، ترجمة جليل قسطو ، دار النشر الجامعيين ، بيروت (د.ت).

٧. http://www.sistani.org/arabic